مجلة الفن المعاصر

أكاديمية الفنون
Academy of Arts

مجلة علمية فصلية محكمة

العدد السادس ـ صيف 2007

فينوس على قمة الزهور ـ سالفادور دالى ـ 1981

كرم مطاوع
حول الثقافة بروافدها

مدكور ثابت
جاء عصر كاميرا المراسلين

هناء عبد الفتاح
دور التظاهرات شبه المسرحية

حالة عمى
(مسرحية لماريو فراتى)

مجلة الفن المعاصر

AL.FANN AL.MOASER

فصلية علمية محكمة تصدرها أكاديمية الفنون

العدد السادس .... صيف ٢٠٠٧

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
أ.د عصمت يحيى

مدير التحرير
د. صلاح الراوى

مستشارو التحرير
أ. رتيبة الحفنى
أ. سعد أردش
أ. د . شوقى محمد
أ. د . صلاح قنصوه
أ. د . علياء شكرى
أ. د . علية عبد الرازق
أ. د . نبيل راغب

المستشار الفنى
أ.صلاح مرعى

سكرتير التحرير :
سلوى عبد العظيم

سكرتير التحرير التنفيذى :
إيمان مدوح

التصميم والإخراج الفنى :
هانى صبرى

الفن المعاصر

مجلة

AL.FANN AL.MOASER

المحتوى

و.. مسيرة لا تتوقف

رئيس التحرير

مقالات ودراسات

د. مدكور ثابت

9 جاء عصر كاميرا المراسلين .. إذن حل زمن دراسة السينما التسجيلية

كرم مطاوع

41 حول الثقافة بروافدها بين المشرق والمغرب

د. هناء عبد الفتاح

65 دور التظاهرات شبه المسرحية في تشكيل بدايات المسرح العربي

د. حسام محسب

89 الألعاب الشعبية في المناطق الحضرية

بحوث محكمة

د. وليد شوشه

103 الفيديو كليب بوصفه فن ما بعد الحداثة (بحث في النقد المعاصر)

د. جمال صالح

133 الرقص التركي

د. حسن يوسف ، د. أحمد بدوي

153 فن صناعة العاهات وفنون الأداء في التسول

دراسات مترجمة

هيلا كيمبر — ترجمة: د. على فطوم

179 الغناء وأمراض الجهاز الصوتى

انريكى جارثيا سانتوس — ترجمة: د. طلعت شاهين

185 فنون النار والكرنفال فى احتفالات المساء لخوان دى ثاباليتا

ماريو فراتى — ترجمة: د. سامى صلاح

195 حالة عمى أو (جهل أحمق)

ويظل .. فنًا معاصرًا

215 وآخرٌ قُبالهُ

أطروحات أكاديمية

221 تأثير أسلوب محمود رضا على الرقصات الشعبية

مصطلحات

237 الرمز

الحقيقة غاية .. والموضوعية سبيل

مدير التحرير

نصوص للتأمل

إرنست فيشر — د. صلاح قنصوه — د. نبيل على، د. نادية حجازى

د. فوزى فهمى — جورج سانتيانا — د. جابر عصفور

د. محمد رجب النجار

و.. مسيرة لا تتوقف

د. عصمت يحيى
رئيس الأكاديمية ورئيس التحرير

تمثل المجلة العلمية المحكمة واحداً من الأعمدة الأساسية التى تقوم عليها أية مؤسسة أكاديمية. وقد لعبت مجلة الفن المعاصر على مدار السنوات الماضية دوراً بالغ الأهمية فى حياتنا الأكاديمية سواء بما تنشره من دراسات وبحوث أعضاء هيئة التدريس، أو ما تنشره من ترجماتهم للأعمال العلمية التى يبدعها المتخصصون فى كل أنحاء العالم، وفى مختلف التخصصات الفنية والثقافية، انفتاحا على الإنتاج العلمى والثقافى والفنى العالمى . وهى نافذة عريضة يعود الفضل فى إتاحتها إلى واحد من كبار رجالات الأكاديمية وبنائيها العظام هو الأستاذ الدكتور فوزى فهمى الذى وضع أسس استراتيجية تطوير أكاديمية الفنون، هذا الصرح العلمى والثقافى والفنى الكبير الذى نشرف جميعا بالانتماء إليه، وهى استراتيجية لا يعنى إسهام كل منا فى تحقيقها إلا الإيمان بالروح المؤسسية التى تقود فى جوهرها إلى المضى قدما بخطوات منتظمة وواثقة.

ها هو العدد السادس من مجلتكم يصدر استئنافا لمسيرة إصدار أكاديمي نحرص جميعا على أن يكون رفيع المستوى علميا وفنيا، وملبيا لطموحات وأحلام أبناء الأكاديمية من العلماء والباحثين والمبدعين؛ طموحاتهم فى التعبير الحر الخلاق عن إبداعاتهم البحثية درسا وتحليلا علميا رصينا للظواهر الثقافية والفنية بمختلف تجلياتها، وأحلامهم فى أن تكون لهم جميعا مجلتهم المعبرة عن رؤاهم. نعم .. مجلتهم التى يدعمونها بإنتاجهم العلمى الرفيع، وقبل ذلك بالمشاركة الجادة والمسئولة فى صياغة فلسفتها وتوجهها العلمى والثقافى والفنى: فالحقيقة الراسخة هى أن هذه المجلة منكم ولكم ولكل باحث مبدع وقارئ مستنير.

بين يديكم هذا العدد من مجلتكم فى ثوب يبدو جديدا من حيث الشكل، ولننظر إليه جميعا بوصفه شكلا مقترحا. وبهذا المعنى الحقيقى فإن أى رأى / اقتراح يتناول ما تصورته هيئة التحرير إنما هو بالضرورة محل ترحيب، وله من الجدارة بالمناقشة ما يعكس الاحترام الواجب لمبدأ العمل الجماعى وروحه الخلاقة.

د. محمد يحيى

نصوص للتأمل

... أن التنمية الاقتصادية مآلها الفشل إذا صاحبتها ثقافة تقوم على القهر والقسوة والتعصب، وحين يربط القهر بالتمييز بين المواطنين على أساس من جنس أو دين أو عقيدة أو طائفة، ويربط القسوة بألوان الظلم السياسى والاجتماعى الذى يسلب الإنسان حقوقه الطبيعية من حيث هو إنسان. وأخيرا، حين يربط التعصب بنقائض المجتمع المدنى، وكل ما يقضى على معنى التسامح الذى يتأسس به مبدأ التنوع البشرى نفسه. وتتجاوب دلالة هذا الربط مع واقعنا العربى بوجه خاص حين نصل سياقات القهر والقسوة والتعصب بالخلل الناشئ عن المسافة الكبيرة بين حركة التحديث متسارعة الإيقاع والثبات الذى تأبى أن تفارقه قيم التقاليد الجامدة. وهو الخلل المترتب على ما يفرضه تدافع التغير من تحولات مربكة، وما يولده من أنواع العداء للقيم الجديدة التى يحملها التحديث ضمن ملامح وجهه الفكرى والإبداعى: الحداثة.

صحيح أن التحديث ينطوى على بعض المخاطر التى يمكن، فى غيبة الوعى النقدى بشروطه، أن تهدد هذا الجانب أو ذاك من جوانب الميراث الثقافى، سواء فى طرز العمارة الموروثة أو الفنون الشعبية أو أشكال الإبداعات الشفاهية أو غيرها من الجوانب التى

ينبغى الحفاظ عليها. ولكن لا يمكن الحفاظ على هذه الجوانب بمعاداة لوازم التحديث من الأفكار الجديدة، وإنما بالبحث عن نقاط التجاوب والتفاعل التى يغتنى بها كل من الموروث والمحدث، وتجد بها الثقافة المحلية ما يضيف إليها بقدر ما يفيد منها داخل الأفق المتحول للتنوع الذى تقوم عليه النزعة الكوكبية، خصوصاً من حيث هى نزعة لا معنى لها بعيداً عن الهدف النهائى للتنمية الإنسانية التى تسعى إلى تحقيق الخير المادى والفكرى والإبداعى والاجتماعى لكل إنسان فى كل مكان من هذا الكوكب الأرضى.

د. جابر عصفور

من تقديمه لكتاب (التنوع البشرى الخلاق - تقرير اللجنة العالمية للثقافة والتنمية ، المشروع القومى للترجمة - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ ، ص ص و- ز)

بحوث محكمة

105 الفيديو كليب بوصفه فن ما بعد الحداثة (بحث فى النقد المعاصر)

133 الرقص التركى

153 فن صناعة العاهات وفنون الأداء فى التسول

نصوص للتأمل

إن مقدار ما يجب علينا أن نضحى به من الخير الجمالى مسألة خلقية بالطبع. فوظيفة العقل العملى هى مقارنة مصالحنا أو اهتماماتنا والتوفيق بينها بقصد الوصول إلى أقصى ما يمكن للطبيعة البشرية أن تصل إليه من السعادة. ولذلك فلابد أن نتوقع أن تقيد الفضيلة من انفعالاتنا جميعاً على السواء، ولا يرجع ذلك إلى أنها تعادى أياً من هذه الانفعالات على نحو خرافى، وإنما يرجع إلى أنها تهتم بها جميعاً. ولذلك فإن مقدار ما للذاتنا الجمالية من اعتبار يعتمد على مدى تأثيرها على سعادتنا. ولما كان هذا التأثير يختلف باختلاف العصور والبلاد وباختلاف الأفراد فلابد إذن أن تتفاوت درجة الأهمية التى تعطى للمطالب الجمالية فى تنظيم حياتنا.

فقد نفضل نوعاً من المخلوقات على غيره طبقاً لمشاعرنا الشخصية، وقد نحب المزاج المادى أو الملائكى أو السياسى. وقد نلذ كثيراً حين نجد فى غيرنا ذلك التوازن بين الميول والمشاعر الحماسية الذى نشعر به فى نفوسنا. إلا أنه لا يستطيع أى قانون خلقى أن يطلب من أى نوع أو فرد أن يغير من طبيعته بحيث يشبه نوعاً أو فرداً آخر، لأن مثل هذا الطلب لن يكون له سلطان على أولئك الذين نود أن نفرضه عليهم. وكل ما تنادى به الأخلاق لا يعدو تحقق

الانسجام الباطنى فى كل حياة. وإذا كنا لا نزال نمقت فكرة كائن ممكن يستطيع أن يكون سعيداً بدون الحب أو المعرفة أو الجمال فإن ما نحس به من نفوز من هذه الفكرة إنما هو إحساس غريزى وليس إحساساً خلقياً، هو إحساس إنسانى بحت وليس إحساساً مستنداً إلى عقل. فليس الذى ينفرنا هو عدم تحقق الكمال فى ذلك المخلوق وإنما هو غياب وجه الشبه بينه وبيننا. ولو استطعنا أن نستعرض الكون بأسره لأمكننا أن نضفى على كل نوع من الأنواع مكانة خلقية تتفق وما فيه من خير عام وغنى باطنى. ولكن هذا المعيار المطلق ليس فى متناولنا، هذا إن كان موجوداً على الإطلاق، ولذلك فنحن مضطرون إلى الحكم عما فى طبيعة كل شىء من كمال بالنسبة لمعاييرنا الإنسانية.

جورج سانتيانا

من كتابه (الإحساس بالجمال ، ترجمة : د. محمد مصطفى بدوى ، مكتبة الأسرة - ٢٠٠١ ، ص ص ٢٩٣ - ٢٩٤) .

فن صناعة العاهات وفنون الأداء فى التسول

د.حسن يوسف ، د. أحمد بدوى
أستاذ مساعد بالمعهد العالى للنقد الفنى
أستاذ مساعد بالمعهد العالى للنقد الفنى

قدرة نجيب محفوظ تتضح فى إلتقاطه لقيمة ما يحللها من خلال السرد الروائى. وقد التقط نجيب محفوظ ظاهرة العاهات للمتسولين . لقد دخل لعمق الظاهرة ليجعل القارئ يتفهم بشكل أعمق ما هو ظاهر.

وليدرك القارئ أن الظاهر له أبعاد أخرى خافية لا يراها، فيقف مندهشًا متسائلاً إزاء الظاهرة، ويخرج بعد القراءة بفكرة كاملة ودقيقة لما يراه، وهنا تتضح عبقرية الكاتب. ونتناول فى هذه الصفحات فنون صناعة العاهات للمتسولين من خلال شخصية(زيطة) فى زقاق المدق. وبداية نقول: ليس كل من رغب فى التسول يمكنه ذلك، فلكى تدخل عالم المتسولين لا بد أن تقنع جماهيرك المستهدفة، ولا بد أن تكون العاهة أو السبب الذى من أجله يتسول الفرد مقنعًا بدرجة كبيرة، وهذا ما أدركه وفهمه وأتقنه وحققه (زيطة) صانع العاهات للمتسولين.

من عاهات الزقاق إلى عاهات يصنعها زيطة

بالتدقيق فى ملامح الزقاق الذى يقدمه لنا نجيب محفوظ، يمكننا أن نقف على ملامح تتسم كلها أو تدخل فى عداد العاهات. الزقاق بأكمله لا يحوى إلا أُناسا غير أسوياء بشكل أو بآخر.إنها عاهات إنسانية ملتصقة بهم ويعيشون بها. يتضح ذلك من موقف (حميده) الساخر من الزقاق وممن فيه، عندما تتطرق الناقدة على الزقاق نجدها تمتعض وتبتئس من هذا الزقاق الغريب :

(*) المصدر المحال إليه فى هذه الدراسة هو رواية زقاق المدق، طبعة مكتبة مصر.

(الفن المعاصر)

(ماذا أرى؟؟ هذه حسنية الفرانة جالسة على عتبة الفرن كالزكيبة عينًا على الأرغفة وعينًا على جعدة زوجها، والرجل يشتغل مخافة أن تنهال عليه كلماتها وركلاتها. وهذا المعلم كرشة القهوجى متطامن الرأس كالنائم وما هو بالنائم وعم كامل يغط فى نومه، والذباب يرقص على صينية البسبوسة) ص ٢٩(*).

وحسين كرشه له موقف حميده نفسه. حيث يرى أن هذا الزقاق لا يحوى إلا أُناسا لهم طبيعة غريبة وهم أقرب إلى الأموات، هو يشعر بالضيق والتبرم من كل قاطنى الزقاق. وفى حواره مع عباس الحلو يكشف حسين كرشه عن رأيه فى الزقاق:

(فقال الشاب ساخرًا : عم كامل، قهوة كرشة، الجوزة، الكومى؟!

فقال الحلو فى حيرة: لماذا تهزأ بهذه الحياة؟

- أهى حقًا حياة؟ هذا الزقاق لا يحوى إلا موتًا. وما دمت فيه فلن تحتاج يومًا للدفن. عليك رحمة الله) ص٣٦.

وزيطة من سكان هذا الزقاق، زقاق العاهات، فو يرى العاهات المجسدة والطبيعية أمامه فى الزقاق، ولذا فهو يحاول أن يخرجها بالصناعة والمهارة إلى الأنحاء المجاورة، إنه الصانع الماهر لعاهات المتسولين.

زيطة..كما يقدمه نجيب محفوظ

زيطة شخصية شديدة الثراء، وتستحق الدراسة، ونجيب محفوظ يركز على تلك الشخصية بما لها من سمات سيئة وهى فى الوقت نفسه تحمل الكثير من السمات الإيجابية، فقمة القذاره والعفن تقابلها قمة الإتقان والفن والالتزام. والتركيز على شخصية زيطة يجرنا إلى قضايا مهمة وحيوية منها الوجود والاغتراب والالتزام. وهذه القضايا تدخل فى الدراسات الفلسفية، وقد لا يلتفت إليها أحد لأن القارئ للرواية لا يعطى أية أهمية أو عناية لشخصية زيطة، ربما لأن الغالبية تعده شخصية هامشية، فى حين أن الرواية يمكن أن تتركز على تلك الشخصية المنبوذة والمغتربة عن الناس. عن طريقه يمكننا أن نرى ونفسر الكثير من الشخصيات والكثير من المواقف والكثير من المشاعر. هو شخص غائب حاضر، غائب عن الناس لأنهم ينفرون منه، وينفر هو منهم أيضًا ، هو حاضر شديد الحضور والأهمية بالنسبة للفئة والطائفة التى يحبها وينتمى إليها (طائفة الشحاذين). حضوره مهم وحيوى وضرورى. إن وجوده مثمر بالنسبة لفريقه، بغيابه تغيب طائفة بأكملها، وتغيب مواقف وحلات خصبة وثرية توسع من معرفتنا وإدراكنا

الواقع المعيش. زيطة يعيش فى خرابة، بها العديد والكثير من القاذورات، لا تفوح منها إلا الروائح المقززة والمقرفة. وزيطة لا يمكن أن تعرفه أو تميزه عن الأرض:

(كان يوجد شئ مكوم لا يفترق عن أرض المكان قذارة ولونًا ورائحة لولا أعضاء ولحم ودم تهبه الحق- على رغم كل شئ- فى لقب إنسان؟..

... وحسبه أن يرى مرة واحدة كيلا ينسى... جسد نحيل أسود وجلباب أسود، سواد فوقه سواد... لم يكن زيطة - على ذلك - زنجيًا، بل إنه مصرى أسمر اللون فى الأصل، ولكن القذارة الملبدة بعرق العمر كونت على جثته طبقة سوداء) ص٥٦.

وصف كهذا لإنسان كفيل بأن يستحضر داخلك كل التقيؤات. كيف يمكن أن تنظر لإنسان بهذا المنظر أو تقترب من إنسان بهذا الكم الضخم من القذارة؟؟ إن إنسانًا بتلك الأوصاف قادر على أن ينفر كل من يراه وكل من لم يره بل سمع عنه. إنه يعيش وحيدًا مستعذبًا وحدته برضا كامل :

(... وهو لا يكاد يمت بسبب للزقاق الذى يعيش فيه، فلا يزور ولا يزار، لا نفع فيه لأحد ولا نفع فى أحد له، اللهم إلا الدكتور بوشى، والآباء الذين يستعينون بصورته على تخويف أطفالهم) ص ٥٦.

وزيطة يعرفه الجميع فى الزقاق، إنه صانع العاهات. إنها العاهات الصناعية التى يصنعها لمن يريدها من مريديه.

نفسية زيطة الفنان الشاذة

بداية نقول إن سلوك الآخرين يبدو مقبولاً أحيانًا، ويبدو غير مقبول أحيانًا أخرى. فى الحالة الأولى نظهر الارتياح . أو نطلق حكم الاستحسان. أما فى الحالة الثانية فنقف موقف المستغرب. أو المستهجن، أو الناقد، ونطلق أحكامًا على ذلك السلوك غير العادى تتفاوت فى درجة ما تنطوى عليه من استغراب أو استهجان أو نقد فهو (غير عادى) أحيانًا. وهو فى حالات أخرى (غريب) أو (غير مألوف) أو مستهجن) أو (فظيع) أو (منحرف) أو (شاذ).

ويختلف الباحثون فى فهمهم لكلمة (شاذ) وتفسيرهم لمدلول (الشذوذ). فإذا سألنا - مثلاً - أحد المعنيين بالشئون الدينية أو الأخلاقية فى بلد من البلدان عن مدلول هذه الكلمة،لأجاب أنه يتضمن "الانحراف عن المعايير الأخلاقية المثلى" [1]. وانطلاقًا من الطرح السابق نقول : إن زيطة له نفسية غريبة ومزاج أغرب. كان يشعر بالسعادة عندما يقوم بعمله، وفى الوقت نفسه له ذات شاذة وغريبة، فقد كان يطير فرحًا وطربًا عندما يوقع الألم لمن يصنع لهم العاهة؛ إنه

(١)
انظر : د. عبد الفتاح دويدار: فى الطب النفسى. دار النهضة العربية. بيروت، د.مصطفى فهمى: الشذوذ النفسى. مكتبة مصر.

الطبع أو المزاج الشاذ. يقول بن جونسون فى استهلال كوميديا Every one out of his :humor "حين تتملك الإنسان صفة شاذة، غرابة.

امتلاكاً يخلط هواجسه ومشاعره جميعًا

ويدفعها فى طريق واحد، يكون صحيحًا أن نسمى ذلك Humor (الطبع، المزاج)"[٢].

اتسم زيطة بطبعه الشاذ، فهو يحتقر كل الناس، مشاعره سلبية تجاه الجميع، إلا المتسولين، فكان يحبهم ويتمنى لو كان أكثرية البشر من المتسولين. أيضًا من سماته الشاذة نفوره العجيب من النظافة ونفوره من الاستحمام وتلذذه بالعفن والقذارة:

(كان من أهم الأسباب التى دعت أهل الزقاق إلى تجنبه رائحته المنتنة، فلم يكن الماء يعرف سبيلاً إلى وجهه أو جسده. وقد آثر وحشة العزلة على الاستحمام! وبادل الناس مقتًا بمقت عن طيب خاطر) ص ٥٧.

ما يلفت النظر هنا أن الناس كانت تمقته بسبب عفنه وقذارته ورائحته التى لا تُطاق. الإنسان السوى ينفر بطبيعته من القذارة والعفونة، ومن الطبيعى أن ينفر الجميع منه لتلك السمة السيئة والرديئة والشاذة.ولكن لماذا هو يمقت الناس؟؟ الناس محقون فى مقتهم، أما أن يمقتهم هو فهذا أمر غير مفهوم وغير مبرر.

لذة وسعادة شاذة

كانت سعادته غريبة وشاذة أيضاً، كان يطير فرحًا ويرقص طربًا عندما يجد ميتًا ويسمع صواتا على ميت. الإنسان السوى يترحم على الموتى ويأمل لهم الرحمة والغفران. أما زيطة فقد كانت له تخيلات وتصورات عن مدى ما سوف يلاقيه من عذاب وألم :

(فكان يرقص طربًا إذا قرع مسمعيه صوات على ميت، ويقول وكأنه يخاطب الميت: جاء دورك لتذوق التراب الذى يؤذيك لونه ورائحته على جسدى!) ص٥٧.

كانت كراهيته غير محدودة، والرغبة فى الانتقام والتلذذ بهذا الانتقام غير محدود أيضًا. إنه المزاج والطبع الشاذ داخله :

(تخيل صنوف التعذيب التى يتمناها للناس واجدًا فى ذلك لذة لا تعادلها لذة) ص٥٧.

خيال شاذ فى تعذيب الناس

زيطة كان يمقت الجميع، وكان يتلذذ مع نفسه أن يتصور ويتخيل كل أصناف العذاب والعقاب تقع للناس ، كانت كراهيته لأهل الزقاق تفوق كل وصف: يتضح ذلك من

(٢) انظر: غييورغى غتشف: الوعى والفن. ترجمة د. نوفل نيوف، عالم المعرفة، الكويت العدد ١٤٦، ص ١٩٤ .

تخيلاته وتصوراته التى ينسجها خياله للجميع. وكل ما يمكن قوله أنه خيال مريض لرجل شاذ وعقل يقترب لحد ما من الاختلال والاعتلال. فمثلاً:

(يتصور جعدة الفران هدفاً لعشرات الفؤوس تضربه حتى تتركه كتلة مهشمة كلها ثقوب . أو يتخيل السيد علوان وقد استلقى على الأرض ووابور الزلط يروح عليه ويجيء ودمه يجرى نحو الصنادقية، أو يتمثل السيد رضوان الحسينى تجره الأيدى من لحيته الصهباء نحو الفرن الملتهبة ثم يستخرجونه زكيبة من اللحم.. أو يرى المعلم كرشة مطروحًا تحت عجلات الترام يمزق أوصاله ثم يلمون أشلاءه فى مقطف قذر يبيعونه لهواة الكلاب .. وغير هذا كثير مما يراه دون ما يستحق الناس) ص ٥٧.

إنه الشعور السادى السلبى تجاه الآخرين، هو غير قادر على ممارسة الإيذاء أو إيقاع الإيذاء البدنى بكل هؤلاء، ولهذا فهو ينسحب لعالم التخيل ويتصور أبشع صنوف العذاب تقع عليهم. إنه التنفيس عن ذاته غير القادرة على الفعل، الذات المغلولة عن الفعل، المنبسطة فى التصور والتخيل. نموذج زيطة يستحق التحليل والفهم، لكى نقف على أسباب كراهيته غير المعقولة للناس أجمعين،

وهذا النموذج الذى يرصده نجيب محفوظ فى الرواية هو بلا شك موجود فى أرض الواقع. وفى حياتنا اليومية نجد بعض الأفراد لديهم كراهية طاغية لكل البشر بل ونفور من كل البشر. ولذلك نجد بعض الناس تقول لك : فلان هذا إذا لم يجد أحدا يكرهه ويحقد عليه، فإنه يكره نفسه!!

وإذا انتقلنا من زيطة إلى شخصيات الرواية سنكتشف أنهم أشخاص مصابون بعاهات قد تكون ظاهرة وقد تكون غير ظاهرة. كل أفراد الرواية تقريبًا يعانون من العاهات بدرجة أو بأخرى، وأغلبها لا يعلن عن نفسه فى أغلب الأحيان. فى المقابل نجد زيطة هو الوحيد الذى يعلن أنه صانع العاهات ويسير بوضوح وتوافق مع نفسه ومع الآخرين. أصحاب العاهات النفسية ينفرون من صانع العاهات الواقعية والظاهرة وربما يكون ذلك رد فعل من البشر ولذا وجدناهم على نفور دائم منه، وقد قابلهم زيطة أيضًا بالنفور والاحتقار نفسهما: والسبب أنه لا يكذب على نفسه ولا يخدع أحدًا، إن الجميع مخادعون وكذابون على أنفسهم وعلى الآخرين، من تلك النقطة يمكن لنا فهم العلاقة بين أشخاص الرواية وزيطة.

الكراهية ولذة التعذيب عند زيطة

الكراهية الطبيعية التى تتجسد داخل زيطة تعبر عن نفسها عندما يباشر عمله،

وهو صنع العاهات للمتسولين، فإنه يجد سعادة غامرة تعتريه عندما يوقع بهم الألم ويصل لقمة سعادته ونشوته عندما تخرج التأوهات عالية من المتسول. إنها لحظة ممتلئة فهو يتلذذ بإيلام الآخر إلى جانب طغيان الكراهية الطبيعية داخله:

(كان إذا باشر عمله وأخذ فى صنع العاهات لطالبها، اشتد عليه فى قسوة مقصودة مستخفيًا وراء سر المهنة، حتى إذا صدرت التأوهات عن فريسته لمعت عيناه المخيفتان بنور جنونى.) ص ٥٨ - ٥٩.

إنه زيطة السادى. حيث تظهر متعته فى إنزال الألم بالضعفاء، ويشعر بقيمته وقدرته ولذا فهو يفخر ويعتز بذاته ، وهذا ما سنقابله عبر الصفحات المقبلة.

زيطة كان يحلو له أن يتلذذ بتعذيب صاحبه الوحيد، الدكتور بوشى ؛ فقد كان الاثنان يذهبان إلى سرقة الموتى، فإذا كان الميت به أسنان ذهبية أو طقم ذهبى فإن زيطة والدكتور بوشى يستوليان عليه بالسرقة بعد الدفن ليلاً:

(وكان- بوشى- يدخل القبور على كره، وطالما ناشد زيطة الرحمة أن يعفيه من دخول القبر، ولكن الآخر أبى أن يؤدى له هذه الخدمة إلا إذا شارك فى جميع خطواتها، مستلذًا فى أعماقه تعذيبه) ص٥٦.

وسادية زيطة مرتبطة أيضًا بسمة لصيقة به وهى التعصب، فقد كان زيطة متعصبًا لمهنته وصناعته ومريديه فكم تمنى لو كان الشحاذون أكثرية :

(وتمنى كثيرًا لو كان الشحاذون أكثرية أهل الأرض) ص٥٨.

يقول إمبرى Embree "إن التعصب نوع من أنواع النرجسية Narciss أو عشق الذات، فمغالاة الأفراد فى حبهم لأنفسهم أو إعجابهم بها وكل ما يماثلها أو يلوذ بها تجنح بهم إلى ضروب مختلفة من كره ومقت الآخرين الذين يختلفون عنهم اختلافًا بينًا"(٣).

فن صناعة العاهات للمتسولين

إتقان صنع العاهة يحتاج لفكر وفن وإبداع خاص. وهو أمر لا يتوفر إلا للقليلين ومنهم (زيطة):

(كان يصنع العاهات .. وقد اكتسب البراعة فى فنه من تجارب الحياة التى صادفته، وعلى رأسها جميعًا اشتغاله عهدًا طويلاً فى سيرك متجول، واتصاله بأوساط الشحاذين) ص ٥٦.

(٣)
د. أحمد زايد: سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، عالم المعرفة،الكويت، العدد ٣٢٣ ، ٢٠٠٦، ص ٨٨.

وأهم ما يميز زيطة هو قدرته الذهنية على توظيف مهاراته بالشكل الذى يجعله متفردًا ومطلوبًا ووحيدًا فى المهنة.

(فكر فى تطبيق فن الماكياج الذى تلقنه فى السيرك على بعض الشحاذين، فى بادئ الأمر على سبيل الهواية، ثم على سبيل الاحتراف حين ضاقت به أوجه العيش) ص٥٦-٥٧.

فى السيرك نجد البهلوان يتلون بالألوان والحركات كافة ولا بد أن يكون مقنعًا للمشاهدين، والبهلوان يغير من شكله وهيئته بما تتطلب اللعبة أو النمرة التى يؤديها للجمهور، ولكى يكون البهلوان جيدًا فى دوره وأدائه فإن عالمًا فى الخلف يقوم بهذا الدور من حيث التلوين والتغيير فى الشكل والإيهام فى حجم الجسم وأجزائه. هذا العالم الخصب من فنون الأداء والماكياج تعلمه زيطة وأتقنه ومن ثم جعله جزءاً من عمله فى صناعة العاهات.

وإذا أردنا أن نجمل الأسباب التى أدت لبراعة زيطة فى صناعته نجدها تتحدد فى الآتى:

أولاً: تجاربه فى الحياة وما قابله فيها وهى لا شك كثيرة ومتنوعة.

ثانيًا: اشتغاله فترة طويلة فى السيرك المتجول وهو فرصة كبيرة ليتعلم الكثير من الفنون.

ثالثًا: احتكاكه المباشر بالشحاذين حيث كان يعيش فى كنف والدين شحاذين.

رابعًا: براعته فى فن الماكياج مكنته من تطبيقه بإتقان فى صناعته.

وإذا كان زيطة يرى أن عمله بمثابة فن، ويرى أنه يقدم خدمة جليلة للناس، بل هو يقوم بتحسينهم حتى يساوى الفرد ذهبًا، فإن المعلمة حسنية الفرانة ترى أن زيطة بمثابة شيطان يشوه الناس :

(قالت المرأة ساخرة:

- خسئت! إنك طين على طين وقذارة. ولذلك لا عمل لك إلا تشويه البشر. كأنك تتبعث إلى ذلك برغبة شيطانية فى النزول بالبشر إلى مستواك القذر. فتضاحك زيطة وقال:

- ولكنى أحسّن الناس ولا أقبحهم. ألا ترين أن الشحاذ بغير العاهة لا يساوى مليمًا، حتى إذا ما صنعتها له ساوى ثقله ذهبًا ؟! والرجل يقوم بثمنه لا بصورته) ص١٢٨.

مشاعر الحسد والحقد والغيرة لدى زيطة

الحسد هو واسطة عقد، فمتى وجد فى نفس شخص أفسح المكان هناك للحقد

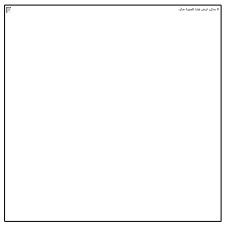

محتدًا: أستاذ؟ أسمعتنى أقرأ على القبور؟

فدهم غضبه الرجل، وبسط راحتيه مستعطفًا وقال بصوت منكسر: معاذ الله، ما قصدت إلا تبجيلك، فبصق زيطة مرتين وقال متعللاً فى زهو وعجب:

إن عملى ليعجز أعظم أطباء البلد لو حاولوه. ألا تعلم أن إحداث عاهة كاذبة أشق من إحداث عاهة حقيقية ألف مرة؟ .. إن عاهة حقيقية لا تستقضينى أكثر من أن أبصق على وجهك) ص ١٢٣.

الفلسفة والكوميديا من فم رجل عفن

سبق أن قلنا إن شخصية زيطة بها الكثير والكثير من الثراء الذى أودعه نجيب محفوظ فى تلك الشخصية. إنها شخصية تجعلك مندهشًا لما بها من الكثير من المفارقات، وربما تندهش أشد الاندهاش لشخص لا يحمل مظهره إلا كل القذارة والعفونة، وحياته كلها يعيشها فى الظلام ووسط أكوام الزبالة، تعجب أن تلك الشخصية لديها رؤية ما تجاه الحياة وتعجب أكثر أن يكون كوميديًا ساخرًا مدهشًا.

الكوميديا الساخرة عند زيطة

أتى رجل إليه ليصنع له عاهة يعمل بها شحاذًا، وكان عملاقًا قويًا فدهش زيطة لمنظره وقال له:

- أنت بغل بلا زيادة ولا نقصان

فقال الرجل بصوت منكسر:

- لم أفلح فى عملى أبدًا، حظى أسود، وعقلى وسخ لا أفهم شيئًا ولا أتقن شيئًا. فقال زيطة:

- كان ينبغى إذًا أن تولد غنيًا) ص٦٠.

هنا نقول إنها سخرية الموقف، وهذا يذكرنا بمواقف نجيب الريحانى وعلى الكسار... إلخ فى أفلام زمان فقد كانت تحمل الكثير من الكوميديا وكثيرًا من السخرية أيضًا:

(وكان زيطة لا يكف عن فحصه .. وقال بحزم وهو يغمز أعضاءه :

-أنت قوى حقًا. إنى أعجب ماذا تأكل) ؟

- الخبز إذا وجد ولا شئ غيره.

- هذا جسم شيطانى بلا ريب. ترى ماذا تكون لو أكلت كما تأكل حيوانات الله التى يؤثرها بخيره ونعمته؟!

فقال الرجل ببساطة:

- لا أدرى.

- طبعًا طبعًا. أنت لا تدرى شيئًا،

فهمنا هذا، وخير ما فعلت، فلو كنت تدرى لانقلبت واحدًا منا) ص٦٠.

ونؤكد مرة أخرى أن الحوار بين زيطة والرجل، هو بمثابة مشهد فى مسرحية كوميدية، وهو يعتمد على البداهة والتلقائية من قبل زيطة، فالموقف نفسه يوضع تحت عنوان الكوميديا الساخرة:

(أنت بغل بلا زيادة ولا نقصان).. (كان ينبغى إذًا أن تولد غنيًا)

(إنى أعجب ماذا تأكل) .. (فلو كنت تدرى لانقلبت واحدًا منا)

وزيطة يرى نفسه واحدًا من البشر الأسوياء، بل يرى نفسه رجلاً مهما وله شأن، هو غرور ذاتى تجاه الجميع، فالجميع يراه مجرد كائن قذر عفن من الضرورى تجنبه فهو لا يمثل أى فائدة لأحد من الناس الأسوياء، بينما هو يرى نفسه مهما وإنسانًا جديرًا بالوجود. فنجده يقول للرجل (لانقلبت واحدًا منا).

كوميديا البؤس فى حياة زيطة

يستعرض زيطة تاريخ حياته. أو بمعنى آخر يقوم بسرد سيرته الذاتية للمعلمة حسنية الفرانة. وهى حياة بائسة رديئة عفنة. حياة طفل يعيش فى كنف والدين شحاذين. وكأنه يريد أن يقول: لكى يمكنكم فهم واقعى الحالى فإليكم تاريخى الشخصى منذ الطفولة، وهو بهذا يؤكد قانونًا مهما من قوانين النمو، وهو أن السنوات الأولى من الطفولة تشكل حياة الإنسان فى مرحلة النضج. لكن جمال سيرته الذاتية التى يعرضها تتمثل فى الطاقة الكوميدية الخارجة من كلمات العرض. فتشعر بسروره فى عرض تاريخه الذاتى. إنها كوميدية السرد وفكاهة اللغة وسخرية ناصعة يقول زيطة :

(.. آه من ذكريات طفولتى السعيدة، لا زلت أذكر مستراحى من الطوار. كنت أزحف على أربع حتى أبلغ حافة الطوار المطلة على الطريق، وكانت توجد تحت المكان المختار ثغرة من الأرض يركد فيها ماء مطر أو رش أو دابة، يتكتل الطين فى ثغرها، وعلى سطحها يغنى الذباب، وعلى شطآنها تتجمع نفاضة الطريق. منظر يأخذ الألباب. ماؤها مطين، وساحلها زبالة متعددة ألوانها. قشر طماطم ونفاية مقدونس وتراب وطين، والذباب يحوم حولها ويقع عليها، فكنت أرفع جفنى المثقلين بالذباب، وأسرح طرفى فى ذلك المصيف الطروب، والدنيا لا تسعنى فرحًا) ص ١٣٠.

ويواصل زيطة عرض حياته الحافلة. وهو

يراها زاخرة، وحياة جديرة بالفخر والإعزاز!!!

(كنت يومًا مولودًا سعيدًا، تلقفته الأيدى بالسرور، وحاطته بالعناية والرحمة، فهل تشكين بعد ذلك أنى كنت ملكًا؟) ص ١٢٩ . ويواصل :

(وكان مولدى يمنًا وبركة أيضًا. ذلك أن والدًى كانا شحاذين محترفين، وكانا يكتريان طفلاً تحمله أمى فى أثناء تجوالهما. فلما أن رزقهما الله بى أغناهما عن أطفال الناس، وفرحا بى فرحًا عظيمًا) ص ١٢٩.

زيطة وإحاته الفلسفية

إذا كنا قد أشرنا إلى أن زيطة شخصية ثرية وحيوية فإنه من المهم ألا نغفل رؤيته الخاصة والمتميزة تجاه الأشياء. وتلك الرؤية الخاصة يمكن أن نطلق عليها مجازًا فلسفة، وعبر قراءتك للرواية تجد أن زيطة كان يؤمن بما يقول ويعيش بما يؤمن . بلغة الفلسفة نقول إن زيطة كان متسقًا مع ذاته. إن الفلسفة لا تعنى التعقيد والأفكار غير المفهومة، ولكنها - وكما يوضحها محمود أمين العالم - هى الموقف الخاص حيث "لكل منا مسلكه فى الحياة، إزاء عمله، إزاء مجتمعه، لكل منا نظرته إلى الناس والكون، لكل منا قاعدته التى يزن بها الأمور، وزاويته التى يحكم بها على أحداث الحياة..

والفلسفة ببساطة ليست إلا هذه النظرة الشاملة"[٤]. وبناءً على السابق يمكننا أن نلتمس الكثير من المواقف والآراء التى تعبر عن فلسفة ورأى زيطة، فمثلاً نجده يقول:

(أى واحد منا تستقبله الدنيا كملك من الملوك، ثم يصير بعد ذلك ما يشاء له نحسه، وهذا خداع حكيم من الحياة، والا فلو أنها أفصحت لنا عما فى ضميرها منذ اللحظة الأولى، لأبينا أن نفارق الأرحام..!). ص ١٢٩.

هنا نجد زيطة ينطلق فى موقفه من خلال رؤيته الخاصة، فالكل تستقبلهم الحياة لكن مصائرنا تتحدد وفق أقدار مقدرة سلفًا. وحكمة الحياة أنها تخبئ عن الإنسان مصيره وطريقه وأحواله فى دنياه، ولو أنها فعلت وكشفت الغطاء عن الذات قبل مولدها لأبت أن تأتى للحياة. ولكن قيمة الحياة فى جهل الإنسان بمصيره. وهذا هو الذى يحدد الصراع والجهاد والعناد كل بطريقته.

وفى نقطة بالغة يفسر زيطة ولعه بالقذارة ملخصًا فيها حياته من المهد حتى لحظته. مدركًا أن ما واجهه وتعايش معه فى سنوات المهد هو المفسر الحقيقى لحالته الراهنة. قال:

(هذا سر ولعى بما يسمونه ظلمًا بالقاذورات، والإنسان خليق بأن

(٤) محمود أمين العالم: معارك فكرية، كتاب الهلال ، ديسمبر ١٩٦٥، ص٨.

يألف أى شئ مهما شذ وغرب) ص١٣٠.

زيطة بين اللا انتماء والانتماء والالتزام

مقولات ثلاث قد تبدو متنافرة وإن كانت فى الحقيقة مترابطة، فإذا كان الفرد لا منتميًا لفريق أو لطائفة فمن الضرورى أن يكون منتميًا لفريق أو طائفة أخرى، وهذا الانتماء يحتم عليه أن يلتزم بمعايير وواجبات ومتطلبات تجاه هذا الفريق أو الطائفة. معنى ذلك أن هناك علاقة جدلية بين الانتماء والالتزام. ويلاحظ أن ادعاء اللا انتماء المطلق هو وهم يعيشه الحائرون والمتطفلون والزائدون عن الحاجة عامة. وزيطة كان واعيًا بوجوده، فكان يعلن عن لا انتمائه ونفوره من الجميع فى الزقاق ولكنه فى الوقت نفسه كان يعلن انتماءه للشحاذين وكان ملتزما تجاههم بكل ما يفعله. وزيطة نجده يعشق الظلام الحالك لأنه لا يحب أن يرى أحدًا من الناس، إلا من كان ينتمى إليهم:

(وفى الطريق، يداخله شعور بالانتعاش والزهو والسرور، فهو لا يشقه إلا حين يكاد ينقطع إلا من الشحاذين الذين يدينون له بالسيادة المطلقة. وشق ميدان الحسين منعطفًا صوب الباب الأخضر فبلغ القبو القديم، وجعل يردد عينيه المخيفتين بين أكوام الشحاذين على جانبيه، فملأه الارتياح.. ارتياح السيد إلى قوته وارتياح التاجر حين يرى بين يديه السلع النافقة) ص٥٨.

الانتماء والالتزام

كان زيطة لا ينتمى إلا للشحاذين ومن ثم تكوّن لديه الشعور بالانتماء لفئة يحبها ويخلص لها ويلتزم حيالها بمهارته، وصنعته:

(كان الشحاذون أحب إلى نفسه، وتمنى كثيرًا لو كان الشحاذون أكثرية أهل الأرض.. الشحاذون الذين يدينون له بالسيادة المطلقة) ص٥٨.

الشحاذون يدينون بالولاء لزيطة، هو منهم وهم منه ، ومن ثم فهم يدفعون له اليومية المقررة عليهم برضا كامل وبلا مناقشة :

(فوقع بصره على الشبح المشرف عليه وحملق فيه لحظة ، فعرفه -على عماه - لأول وهلة، وتنهد الرجل فند عن صدره صوت كالوحوحة ثم دس يده فى صدره وأخرج مليمًا فغمز به كف الرجل. وانتقل زيطة إلى من يليه ثم إلى من يليهما ... لا يفلت منه شحاذ واحد. ولم يكن انكبابه على تحصيل يوميته

لينسيه واجب رعاية العاهات التى صنعها، وربما سأل هذا أو ذلك كيف عماك يا فلان؟ أو كيف كساحك يا فلان؟ فيجيبونه: الحمد الله.. الحمد الله) ص ٥٨-٥٩.

زيطة.. التدلل والتعالى والنفور

كان زيطة على ثقة كبيرة بذاته، ربما بلغت درجة الغرور والتفاخر فى بعض الأحيان، كان يقدر ذاته ويعرف قيمتها. وعلى الرغم من حبه لمهنته وأمنيته أن يصبح كل البشر شحاذين فإنه كان يتعامل بشكل فيه تدلل وتعالٍ وغرور ونفور، مما يبيح لنا أن نصنفه داخل دائرة الشذوذ النفسى:

(ووقفوا له جميعًا، وقال له الدكتور بوشى بعد أن حياه تحية طيبة:

- هاك رجلين مسكينين يستشفعان بى إليك.

فتظاهر زيطة بعدم المبالاة، وقال متظاهرًا بالملل:

- فى مثل هذه الساعة يا دكتور؟!

فوضع الدكتور يده على كتفه وقال له:

- الليل ستَّار وربنا أمر بالستر!

فقال زيطة وهو ينفخ:

- ولكنى متعب الآن.

فقال بوشى برجاء:

لا رددت لى يدًا) ص٥٩.

ما نلاحظه مدى التعالى والنفور الذى يتعامل به زيطة مع زبائنه، كل ذلك يدل على أن هذا الشخص الذى يرصده نجيب، له ذات غريبة وهى أقرب إلى الشذوذ النفسى بلا شك. إنه يتعامل مع زبائنه بغرور وتكبر وصلف قد تكون وسائل دفاعية يحتمى بها وقد تكون ثقة زائدة بذاته وبقيمته. مثل تلك الشخصية تتهلل وتسعد عندما تجد الآخرين يتقدمون إليها بالتوسلات والتضرعات، مثل تلك الأساليب كثيرًا ما تشعره بذاته وقيمته وهيمنته. وهنا يكمن العيب والخطأ فى تكوين مثل تلك الشخصيات.

(وراح الرجلان يضرعان ويدعوان له، فتظاهر بإذعان مرغمًا) ص٥٩.

زيطة كلما وجد تضرعًا واستذلالاً وتوسلاً من الآخرين أشعره ذلك بذاته وقيمته ووجوده . كل ذلك دليل على اللا سواء والغرور الذى يكمن داخل زيطة. وسعادته تنطلق من كونه قادراً على بسط إرادته وقوته على مريديه، بمعنى آخر إنهم يقعون تحت رحمته وسيطرته. إنه التلذذ بالسيطرة والهيمنة، من خلال هؤلاء المستضعفين يشعر بكيانه ووجوده بعدما لفظه وتناساه الجميع فى الزقاق :

(وهو لا يكاد يمت بسبب للزقاق الذى يعيش فيه، فلا يزور ولا يزار، لا نفع فيه لأحد ولا نفع فى أحد له،

اللهم إلا الدكتور بوشى) ص٥٦.

علينا أيضًا أن نلاحظ أن زيطة فى تعامله مع زبائنه كان كثير السخرية بهم ومنهم وكثير الازدراء، إنه الإبدال كما يقول علم النفس. فهو ينقل ما يُلاقيه هو من ازدراء وتفور وسخرية من أهل الزقاق إلى زبائنه ممارسى التسول، فمثلاً يقول لأحد زبائنه (أنت بغل بلا زيادة ولا نقصان).

فنون الأداء.. أساس مهنة التسول

التسول مهنة تحتاج لقدر كبير من المهارة والإقناع والتأثير، بمعنى آخر نقول إنه يمكن أن نُدخل مهنة الشحاذين إلى دائرة الفن أو الفنون، إنها تقترب لحد بعيد من فنون الأداء التأثيرية، وفنون الأداء تحتوى المسرح والموسيقى والرقص... إلخ. وكلها فنون تشكل جوانب مهمة وشديدة الحيوية من الخبرة والتفاعل والحياة الإنسانية. فهذه الفنون تحاول الكشف والتجسيد والإبراز لعديد من حالات الإنسان المؤدى والمتلقى للأداء، سواء كانت هذه العمليات معرفية (كالتفكير والخيال) أو وجدانية (كالخشية والقلق والحقد) أو اجتماعية (كالإعجاب والتعاطف) أو واقعية (كالرغبة فى التمكن والإنجاز والتفوق والسيطرة) ويُلاحظ أن أى أداء لا بد أن يشتمل على قدر معين من الكفاءة والتمكن والسيطرة على الأدوات والأساليب والوسائل والمهارات التى يتم من خلالها هذا الأداء.

فالأداء هو سلوك يتم بقدر معين من المهارة فى مجال معين، وهو يتطلب قدرًا مناسبًا من التدريب والاستعداد والتهيؤ حتى يصل المرء إلى مرحلة التمكن أو الكفاءة[٥]. وفى اعتقادنا أن زيطة كان على وعى وإدراك أن نجاح المتسول فى مهمته يكمن فى قدرته التأثيرية والإقناعية ولذا نجده دقيقًا فى عمله حريصًا كل الحرص على النجاح. هذا ما نلاحظه من خلال صناعته :

(.. ووقف حيالهما متفرسًا فى أناة وهدوء، ثم ثبت عيناه على أطولهما، كان عملاقًا قويًا فدهش زيطة... فقال الرجل بصوت منكسر:

- لم أفلح فى عمل أبدًا، حاولت أعمالاً كثيرة، حتى الشحاذة نفسها، ولكن لم يُقدر لى التوفيق، حظى أسود، وعقلى وسخ لا أفهم شيئًا ولا أتقن شيئًا.. فقال زيطة بحقد : كان ينبغى أن تُولد غنيًا) ص٦٠.

إن زيطة يستمتع بممارسة السخرية من زبائنه، وعلى الرغم من تعامله مع فئة متدنية فى المستوى العقلى والمستويات كافة فإنه يمتلك قدرة على التفكير العقلى والوعى بالأمور وقدرة على تدبر المواقف وإيجاد أفضل السبل لها ؛ إنها براعته فى استثمار فن الأداء والماكياج:

(يقول الرجل: أخفقت فى كل شئ،

(٥)
لين ويلسون: سيكولوجية فنون داء. ت: د. شاكر بد الحميد، عالم عرفة ، الكويت، العدد ٢٤ ، ٢٠٠٠ ، ص ٥ - ٠

حتى الشحاذة لم تجذب لى رحيمًا واحدًا. كل الناس يقولون أنت قوى ويجب أن تشتغل.

وكان زيطة لا يكف عن فحصه متفكرًا، فقال بحزم وهو يغمز أعضاءه :

- أنت قوى حقًا. أعضاؤك سليمة.

إنى أعجب ماذا تأكل؟

- الخبز إذا وجد ولا شئ غيره.

- هذا جسم شيطانى بلا ريب)

ص٦٠.

يتضح من الحوار السابق مدى سخرية زيطة من زبائنه، فى الوقت نفسه نرى مدى ما يتمتع به زيطة من فهم ودراية وخبرة فى أجساد الناس، ومدى النجاح والفشل فى عمل العاهة، فهو لا ينطلق فى عمله بعشوائية ولكن بخبرة وإدراك وفن:

(... اسمع يا هذا لا فائدة تُرجى من تشويه أعضائك...

(عسير أن أكسر لك رجلاً أو ذراعًا، ومهما صنعت بك فلن تستثير عطف أحد. إن البغال أمثالك يثيرون الحنق أينما يحلون) ص٦٠-٦١.

زيطة.. وفن أداء العته

يتمثل ذكاء وفن زيطة فى أنه يوجه كل إمكاناته لصالح زبائنه، ولكن ما الموقف إذا وجد أن كل إمكاناته فى إبداع العاهات غير مجدية؟؟ هنا يتفتق ذهن زيطة عن حلول تتواءم مع قدرات الشخص الذى أمامه. وفى اعتقادنا أن زيطة تعلم كثيرًا واستثمر كثيرًا خبرته التى استقاها أثناء عمله فى السيرك؛ لأن فن الأداء يدخل بطريقة أو بأخرى ضمن فنون السيرك:

(إن البغال أمثالك يثيرون الحنق أينما يحلون)..

هذه الكلمات من المستحيل أن تصدر عن شخص إلا إذا كان ذا دراية وفهم جيد وعميق بطبيعة الناس، مثل هذا الرجل الثور لا يمكن أن يؤثر فى جمهور المتلقين ومن ثم لم ولن يعطف عليه أحد. ولن يكسب شيئًا من التسول، بمعنى آخر أو بلغة فنون الأداء، إن لغة الجسد المشوه لن تفيد فى شئ له ولن تؤثر فى أحد. وبناء على ذلك لا بد من طريقة أخرى تكون أكثر تأثيرًا وإقناعًا وإثمارًا. ولأن خبرته واسعة وتمكنه أوسع فإننا وجدناه يحدد للرجل الطريقة المثلى التى تجدى معه :

(ولكن لا تيأس... فهناك طرق شتى، أعلمك فن العته مثلاً وأنت لا ينقصك منه شئ ذو بال، أجل العته،وأحفظك بعضًا من مدائح الرسول.) ص٦١.

علينا أن ننتبه لقوله (فن العته). وهذا

أقرب إلى البهلوان فى السيرك، وزيطة ممتلك لمفاتيح هذا ويتقنه. والعته يثمر إذا اختلط بفن المدح لآل البيت. هذا الأمر بأكمله يدخل ضمن فنون الأداء التى يكتبون عنها الآن: فقد كان زيطة فى زقاق نجيب محفوظ على وعى دقيق بها. فى تعليمه (لفن العته) نجد أن زيطة هو بمثابة السيناريست والملقن والمخرج فى آن واحد. هو يضع له أو يحدد له المدائح التى عليه أن يحفظها فهو هنا (سيناريست). وهو يشرف على تحفيظه تلك المدائح فهو هنا بمثابة (الملقن). وهو يدربه على طريقة الأداء الصحيحة حتى تكون مؤثرة وفعالة فهو هنا بمثابة (المخرج) وهو يقترح عليه استعمال أداة طبل أو إيقاع فهو هنا بمثابة (الموسيقى).

زيطة..وصناعة العمى للتسول

زيطة هو الذى يقرر لكل فرد ما الذى يصلح له، وليس من حق أى فرد أن يعترض أو يجادل، هم يتلقون أفعاله بكل رحابة وسرور وانشراح صدر، مهما يكن مؤلمًا!!

(يجيئونه صحاحًا ويغادرونه عميانًا وكسحانًا وأحدابًا وقسعانًا ومبتورى الأذرع أو الأرجل. وقد اكتسب البراعة فى فنه من تجارب الحياة التى صادفته، وعلى رأسها جميعًا اشتغاله عهدًا طويلاً فى سيرك متجول) ص٥٦.

ويمكننا القول إن زيطة ينطلق من مفهوم معاصر الآن وهو فن الجسد Bady art ،فن حضور الجسد فى العالم وحضور العالم فى الجسد من حيث هو حركة، ومن حيث هو رؤية، ومن حيث هو إدراك [٦].

ومعنى ذلك أن العاهة فى الجسد إعلان حضور، أو أن الجسد يعلن حضوره وكيانه من خلال تلك العاهة التى تؤثر فى إدراك المتلقى وتكوّن لديه انفعالاً ما وهو إيصاله أو إعلانه، أو يُراد قراءة الجسد من خلال ذلك التشويه للخروج بالنتيجة المرّادة (فى حالة التسول طبعًا هو الحصول على المال):

(التفت زيطة للرجل الآخر، كان قصيرًا هزيلاً.. فقال زيطة بارتياح:

- استعداد طيب.

- خُلقت لتكون أعمى مقعدًا

- فقال الرجل بسرور:

- هذا من فضل ربى.

فهز زيطة رأسه وقال ببطء:

- العملية دقيقة وخطيرة. هبك فقدت بصرك.. عن خطأ.. فماذا تفعل ؟ فتردد الرجل لحظة، ثم قال بغير مبالاة:

- نعمة من الله ! وهل أفدت من بصرى شيئًا حتى آسف على ضياعه؟ .. فقال زيطة بارتياح :

- بهذا القلب تستطيع أن تواجه الدنيا حقًا) ص ٦١ - ٦٢.

(٦)
دوبريه ريجيس: حياة صورة وموتها ، ت: ريد زاهر، دار أفريقيا شرق، المغرب ، ٢٠٠٢، ص ٩٩ .

زيطة.. وفن الوقار فى التسول

إن الجسد لا يُعبر عن شئ بل (يشير إلى)، وهذا مهم فى موضوعنا، وعلينا أن ننتبه إلى أن كل قطعة من مكانية الجسد تصبح قادرة وحدها على التخاطب دون الحاجة إلى باقى أعضاء الجسد، فالأجساد المبتورة والحنجرة غير القادرة على الكلام والتشويه الجسدى، والعته العقلى والأجزاء كالبطن، الفرج، اللسان تم تحريرها من إعاقة بنية الجسد الكلية. إننا نزعم الآن أن زيطة كان على وعى ودراية بالذى قلناه سابقًا.

فى التسول يتم استنطاق الجسد أو أجزاء منه، إما بالقول ، أو الحركة أو التكوين. ويتبدى فن زيطة فى قدرته العقلية على إيجاد الشكل المناسب لكل شخص يدخل مهنة التسول، ليست العاهات وحدها هى المطلوبة، أحيانًا تكون العاهة أمرًا غير مرغوب. ويصبح الجسم السليم الشامخ المتماسك هو المطلوب وهو الضمان ليحصل على الكثير من التسول. ما يدركه زيطة هو أن عزيز قوم ذل تجد هوى فى نفوس الجميع. إن زيطة يفهم بشكل عميق نفسية المجتمع المصرى:

(– ماذا أرى؟؟ إنك لرجل وقور.

قال زيطة ذلك وهو يتفرس وجه رجل عجوز منتصب القامة ، يمثل بين يديه فى خضوع واستكانة .. كان رث الجلباب ، نحيل الجسد ، ولكنه ذو مظهر وقور كما قال صانع العاهات ، كبير الرأس أبيض الشعر، مستطيل الوجه ، له عينان هادئتان خاشعتان ، كأنه لوقاره وطول قامته واعتدالها من رجال الجيش المتقاعدين . وراح زيطة يتفحصه بدهشة على ضوء المصباح الخافت) ص ١٢٢.

ما نلاحظه هو أن زيطة ليس عشوائيًا. ولكنه يتفحص ويحلل أجزاء الجسد. إننا محقون عندما نقول إنه رجل يحترم ويتقن عمله رغم القذارة التى يعيش فيها وبها ورغم عفونته المنفرة للجميع!! ما سوف يذهلنا هو فهمه الدقيق للبناء الإنسانى وطبيعة الجسم الإنسانى، سواء من ناحية التكوين أو من ناحية العمر، فمثلاً هو يعلم أن بعد العشرين ينشف العظم ويصبح من الصعب إحداث العاهة سواء كانت طبيعية أو كاذبة. عند الوقوف عند شخص بهذه الدقة والمهارة لا تملك إلا أن تحترمه لأنه يحترم عمله، حتى لو كانت مهنته صناعة العاهات لخداع الناس من أجل التسول!!

(عاد يقول: إنك لرجل وقور، أترغب فى امتهان الشحاذة حقًا!!

فقال الرجل بصوت هادئ النبرات:

– أنا شحاذ بالفعل ولكنى غير موفق.

فتنحنح زيطة، وبصق على الأرض، ومسح شفتيه بكم جلبابه الأسود، وقال:

- إنك أرق من أن تحتمل أى ضغط شديد على أعضائك. والحق أنه لا يصح التقدم لاتخاذ عاهة كاذبة بعد العشرين، فالعاهة الكاذبة والصادقة سواء فيما تقتضيه من عناء! وكلما كان العظم طريًا ضمن الشحاذ عاهة فى حكم المستديمة، وأنت شيخ كبير على عتبة الفناء فما عسى أن أصنع بك ؟) ص١٢٢.

لو دققنا النظر فى الحوار السابق لاكتشفنا أن زيطة يطبق قواعد المنهج العلمى إلى حد كبير فى الحالات التى يواجهها. ومن أهم خطوات المنهج العلمى تحديد المشكلة ثم فرض الفروض ثم اختبار الفروض. فما هى المشكلة التى أمام زيطة فى الحالات السابقة؟ المشكلة هى أن رجلاً وقورًا يريد امتهان الشحاذة، وهو فعلاً يمتهنها ولكنه غير موفق. هنا حدد زيطة المشكلة، ومن ثم نجده يفكر يا ترى لماذا يفشل هذا الرجل؟؟ هل المشكلة لأنه وقور؟ هل يمكن عمل عاهة له تساعده على أداء مهمته؟ وإذا افترضنا أننا نريد عمل عاهة، فالسؤال ما العاهة المناسبة؟! فتنحنح زيطة.. وفكر.. وقال: لا يصح التقدم لعمل عاهة بعد العشرين لأسباب السن والصحة بالنسبة للرجل. هذا السير فى المشكلة بهذا العرض الذى أوردناه يدلنا بشكل واضح على أن زيطة يتبع أسلوب التفكير العلمى وإن كان بشكل فطرى أو بشكل اكتسبه من خلال الخبرة والمران فى المهنة. ثم يصل زيطة إلى الحل بشكل فجائى وكأنه الإلهام أو نقول عنه الحدس العقلى المباشر:

(ومضى يفكر وكان إذا اعتراه الفكر فغر فاه وأرعش لسانه فلاح فى فمه كرأس أفعى. ثم ومضت عيناه البراقتان بغتة وصاح:

- الوقار أنفس عاهة!) ص١٢٣.

الأمر هنا يذكرنا بأرشميدس عندما خرج مهللاً وهو يقول وجدتها. فهذا نفس ما فعله زيطة (مضى يفكر.. وصاح..).

التسول والوقار.. (عزيز قوم ذل)

يمد يده باستحياء مصطنع وأدب جم. الناظر إليه يتأسى على ماضى ذلك الرجل. إنه الماضى العزيز، وهذا الرجل دار به الزمن لكى يصبح فى تلك الحالة المؤسية. إنها الأيام. ترى ماذا تفعل بنا الأيام؟؟ هنا تدخل الأيادى إلى الجيوب لتخرج ما تيسر وتعطى هذا الرجل فمن يدرى ربما يغدر بنا الزمن ويجعلنا فى الحالة نفسها. هذا ما يحدث داخل النفوس.. هذه الحالة بتحليلها الدقيق كان زيطة على دراية وفهم جيد لها ولذلك اتبعها مع الرجل الذى أمامه. وقال له:

الوقار أنفس عاهة.

- فقال الرجل: كيف ياسيدى؟

- الوقار كفيل بأن يكتب لك النجاح كشحاذ نادر المثال.

- الوقار ياسيدى؟؟

زيطة لا يتخذ قراراته بعشوائية ولا يحدد صورة الزبائن بشكل ارتجالى، إنه يفكر، بل ويفكر بعمق، نكشف ذلك من خلال حركته وسلوكه وتأمله وطريقة حديثه. فلكى يفكر زيطة فلابد من إشعال السيجارة، ثم يُضيق عينيه كأنه يقتنص الفكرة ويحددها ويسخرها بين يديه، ثم يشرح بهدوء فكرته للمتلقى لكى يستوعب ما يريد أن يفعله من حركة وقول، إنه فن الأداء.

ونعرض النص الذى كتبه نجيب محفوظ لنكتشف أننا أمام مشهد مسرحى متكامل من تفكير وتصميم وإنتاج ومونتاج وإخراج زيطة. فيه نلمس كل حرفية أدوات الفن المسرحى، ربما يرجع ذلك لعمل زيطة فى مجال السيرك فى سابق عهده. إن النص الذى نريد عرضه يمكننا أن نطلق عليه مسرحية "تسول عزيز قوم ذل":

(مد زيطة يده إلى كوز على الرف، واستخرج منه نصف سيجارة، ثم أعاده إلى موضعه، وأشعلها من فوهة زجاجة المصباح... وقال بهدوء:

(... أنت فى حاجة إلى مزيد من التحسين والتجميل.. اغسل جلبابك جيدًا، واحصل بأية طريقة، على طربوش نصف عمر. وامش بقامتك المعتدلة هذه فى خشوع وأدب. واقترب فى إشفاق من رواد المقاهى، ثم قف فى حياء، ومد يدك فى تألم دون أن تتبس بكلمة. وتكلم بعينيك، ألا تعرف لغة الأعين؟ ستحدق فيك العيون بدهشة، سيقولون عزيز قوم ذل، ويقولون محال أن يكون هذا من أولئك الشحاذين المحترفين.

أفهمت الآن ما أريد؟ ستريح بوقارك أضعاف ما يريحه الآخرون بعاهاتهم.

وأمره أن يقوم بتجربة لدوره الجديد، ووقف يراقبه مدخنًا سيجارته) ص ١٢٣ - ١٢٤.

زيطة.. وفنون الجسد فى التسول

إننا نزعم أن زيطة صانع العاهات، الساكن وسط القمامة. لديه إدراك ووعى جيد بفن أداء الجسد وقدرته على أن يكون البطل فى عملية التسول. والجسد يُعد لغة مهمة فى عملية التواصل بين الناس. "وهى لغة تعتمد على مخزون من الخبرات والتصورات والذكريات، والتجارب التى يتلقاها الإنسان عن طريق حواسه واستجابته لكل المثيرات التى تتحدد عن طريق إدراكه ووعيه، ذلك الوعى الذى يمكن أن يتجاوز الحواس نفسها ، ليتحول إلى مظاهر ثقافية/ اجتماعية يتفق عليها أفراد المجتمع. ومن ثم فالأوضاع الجسدية،

والإيماءات، والإشارات تُعد جميعها قنوات غير لفظية يتم التفاهم- بل التخاطب- بها والتواصل بين البشر" (٧).

وإذا ألقينا نظرة سريعة على الموقف من الجسد نجد أن هوسرل أعطى القدرة الفعلية للتعبير للقول، فالجسد لا يعبر عن شئ بل (يشير إلى)، بينما ينقل ميشيل فوكو الجسد إلى دائرة المعرفة، بوصفه موضوعًا للمعرفة لذا فهو الأب الشرعى للانفتاح الجسدى الأدائى حيث التجربة المباشرة. بينما هناك الجسد المعاق لويلسون، إن كل قطعة من مكانية الجسد تصبح قادرة وحدها على التخاطب دون الحاجة إلى باقى أعضاء الجسد فالأجساد المبتورة والحنجرة غير القادرة على الكلام والتشويه الجسدى والعته العقلى تم تحريرها من إعاقة بنية الجسد الكلية.

وفى التسول يتم استنطاق الجسد، إما بالقول أو الحركة أو التكوين. كان زيطة مدركًا بشكل جيد أهمية وقيمة الجسد فى مهنته، إنه يقوم برسم وتحديد معالم الشخص الراغب فى التسول بمعنى آخر تجسيد الشخصيات Characterization بشكل يجعلها قابلة للتصديق من خلال الوضع الجسمى والإيماءة.

زيطة يطبق فنون الجسد التى تعلمها من صناعته، فهو يضع لكلٍّ ما يوافق جسمه من العاهات :

(يجيئونه صحاحًا ويغادرونه عميانًا وكسحانًا وأحدابًا وقسعانًا ومبتورى الأذرع أو الأرجل) ص٥٦.

يقول لأحد زبائنه وقد أدرك أن إحداث عاهة فى جسده أمر غير مجدٍ ، ومن ثم عليه أن يجد له ما يتناسب مع جسده :

(أنت قوى حقًا. أعضاؤك سليمة.. هذا جسم شيطانى بلا ريب.. عسير أن أكسر لك رجلاً أو ذراعًا، ومهما صنعت بك فلن تستثير عطف أحد. إن البغال أمثالك يثيرون الحنق أينما يحلون.. ولكن لا تيأس فهناك طرق شتى، أعلمك فن العته مثلاً. وأنت لا ينقصك منه شئ ذو بال.) ص٦١.

ويصف العمى لأحد زبائنه بناءً على هيئته الجسمية :

(التفت إلى الرجل، كان قصيرًا هزيلاً.. فقال زيطة : استعداد طيب.. خُلقت لتكون أعمى مقعدًا) ص٦١.

وتأمل زيطة أحد الرجال فى بنائه الجسدى وملامحه لكى يحدد به اللغة الجسدية التى تصلح وتتماشى مع تكوينه :

(- ماذا أرى ؟ إنك لرجل وقور!

- قال زيطة ذلك وهو يتفرس وجه رجل عجوز منتصب القامة .. نحيل الجسد، ولكنه ذو مظهر وقور .. كبير الرأس أبيض الشعر، مستطيل الوجه، له عينان هادئتان خاشعتان، كأنه لوقاره وطول قامته واعتدالها من رجال الجيش المتقاعدين. وراح

172

(٧)
...حث "اكتشاف اللغة ... ية الجسد"، ... دارات أكاديمية ... ون"، ٢٠٠٣، ص ٢٥ .

زيطة يتفحصه بدهشة وأناة... ثم
ومضت عيناه البراقتان بغتة وصاح:
- الوقار أنفس عاهة!) ص ١٢٢.

زيطة سيناريست ومخرج

ترتبط بفنون الجسد فنون الأداء من كلمة وحركة. وزيطة يمتلك موهبة السيناريو والإخراج بدرجة امتياز، فنجده يحدد للرجل ما يجب أن يفعله سواء من ناحية الشكل، الحركة، القول، الفعل... إلخ.

الشكل: اغسل جلبابك جيدًا، واحصل بأية طريقة على طربوش نصف عمر.

الحركة: وامش بقامتك المعتدلة هذه فى خشوع وأدب واقترب فى إشفاق.

الفعل: قف فى حياء، ومد يدك فى تألم. وتكلم بعينيك.

النتيجة: تكون حالة نفسية وانفعالية لدى المشاهد (المتلقى).

يقولون: محال أن يكون هذا من أولئك الشحاذين المحترفين. ستربح بوقارك أضعاف ما يربحه الآخرون بعاهاتهم.

زيطة المخرج

بعد أن أفهمه دوره جيدًا لحظة بلحظة. طلب منه القيام بالدور وأمره أن يقوم بتجربة لدوره الجديد، ووقف يراقبه مدخنًا سيجارته.

ما يركز عليه زيطة هو التأثير الذى يحدثه الرجل فى الجمهور المستهدف؛ قدرته على اجتذاب الانتباه إليه بحيث يصبح قادرًا على التأثير فيهم ويحصل على ما يريد من هبات وعطايا.

ما بقى أن نشير إليه هو أن نجيب محفوظ فى روايته (زقاق المدق) يرصد التحول فى ثلاثينات وأربعينات القرن الماضى، تلك الصورة التى كانت سائدة وقتذاك. وربما نجد بعضًا منها الآن ولكن تغيرت أشياء كثيرة ولم تعد الصورة النمطية موجودة أو سائدة.

ويبقى أن ما عرضه نجيب محفوظ فى زقاق المدق هو اقتناص ظاهرة فى وقت ما فى المجتمع. وأدخلها لعالم روايته. ومن ثم فإن قيمة الرواية فى تلك التيمة تتمثل فى الرصد الكلاسيكى للشحاذين.

على أننا نجد نجيب محفوظ فى أعماله التالية يرصد كل الصور الموجودة فى المجتمع. كل فى زمنه. وهذا أمر يحتاج للمزيد من الدراسة التى نأمل أن نحققها فى المستقبل.

ولكن تبقى لنا ملاحظة: إن جمال تلك الرواية فى قدرة نجيب محفوظ على أن ينفذ إلى شخصية زيطة، ويقوم بتحليلها من الناحية النفسية والعقلية والسلوكية وكل ذلك أعطى فهمًا أعمق لطبيعة العمل الذى تقوم به.